

الفصل الخامس

الروايات المصرحة بـدفنها ليلاً
وما قيل من صلاة أبي بكر على الزهراء عليها السلام

تمهيد:

قد يثير التساؤل والاستغراب والاستفهام؛ بل والحزن والألم أن الابنة الوحيدة للنبي الأكرم ﷺ تدفن ليلاً وسراً؟! ليس الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء العالمين، كما رواه البخاري بألفاظه المختلفة^(١). ألم ترو عائشة: «كانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها، فأجلسها في مجلسه»^(٢). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»^(٣). ألم تنقل عائشة أيضاً: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل يوماً نحر فاطمة، فقلت له: يا رسول الله فعلت شيئاً لم تفعله، فقال: يا عائشة إنني إذا اشتقت إلى الجنة قبلت نحر فاطمة»^(٤). ألم ترو أيضاً: «ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها ورحب بها كما كانت تصنع هي به صلى الله عليه وسلم»^(٥). ألم يرو عمر بن الخطاب: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج كان آخر عهده بفاطمة وإذا رجع كان أول عهده بفاطمة»^(٦). ألم تكن الزهراء بضعته وروحه، وكما يقول المناوي: «إنها قطعة من

(١) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٤٢، ج ٤ ص ١٨٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه: ج ٣ ص ١٥٤، وأقره الذهبي على ذلك.

(٤) محب الدين الطبري: ذخائر العقبى، ص ٣٦، ط مكتبة القدسي.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢ ص ٧٥١، ط حيدر آباد الدكن.

(٦) محمد بن يوسف الزرندي: نظم درر السمطين، ص ١٧٧، ط القضاء - القاهرة.

لحمه»^(١).

فسأل لماذا هذا التأكيد من رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام، ثم هل أن القوم غابت عنهم هذه الأحاديث، فلماذا تدفن بهذه الطريقة؟ فهل يُعقل أن القوم لم يذكروا هذه الوقائع؛ أم أن هناك سراً في الأمر والراجح هو الثاني.

إذن لننطلق في تلمس الحقائق في هذه المسألة، فالزهراء عليها السلام ابنة ثمانية عشر ربيعاً فقط، وكانت أول أهل بيته عليه السلام لحوقاً به... ترى لماذا؟ صحيح أن الموت حق على كل العباد، لكن السؤال الفطري الذي يطرح نفسه وبالإلحاح، ماذا جرى؟

ما الذي جعل الزهراء عليها السلام تنتقل بهذه السرعة إلى بارئها وغيرها يمتد به العمر إلى ما شاء الله؟

وعندما نبحت في خلجات أنفسنا ونطرد العصبية عن أرواحنا، يأتي الجواب واضحاً وهو حزننا على أبيها ورزية القوم بغصب حقوقها، وضربها، وإسقاط جنينها.

لذا نجدها أنها أمرت ألا يصلي عليها (أبو بكر) وأن تدفن ليلاً وسراً؛ حتى لا يعلم قبرها، فيبقى التساؤل عن سر ذلك قائماً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً وهكذا كان.

الروايات:

وإليك مجموعة من الروايات التي تثبت هذه الحقيقة:

(١) عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، ج ٤ ص ٤٢١.

١- محمد بن إسماعيل البخاري (ت / ٢٥٦) في صحيحه

«قال: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أن قال: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر»^(١).

٢- مسلم النيسابوري (ت / ٢٦١هـ) في صحيحه

«قال: أخبرنا حجين حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس.... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أباً

(١) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٨٢ باب غزوة خيبر. وفتح الباري، ابن حجر: ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري للعيني ج ١٧ ص ٢٥٨.

وخرج هذا الحديث: ابن سعد الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣١٥. أحمد في المسند: ج ١ ص ٦-٧، ابن شبة النيميري تاريخ المدينة: ج ١ ص ١٩٧. البيهقي في السنن: ج ٦ ص ٣٠٠، الطبري في التاريخ: ج ٣ ص ٢٠٢ و ٣٠١. الطبراني في مسند الشاميين: ج ٤ ص ١٩٨، ابن كثير في البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٨٥، الطحاوي في شرح مشكل الآثار: ج ١ ص ١٣٧. المتقي الهندي في كنز العمال: ج ٥ ص ٢٤٢، ابن حبان في صحيح ابن حبان: ج ١٤ ص ٥٧٣.

بكر، وصلّى عليها علي»^(١).

والروايات التي في الصحيح، لا تحتاج إلى ترجمة أسانيدھا كما هو واضح فهي في غاية الصحة على مباني القوم.

وبنفس الطريق، عن (عائشة) ذكر هذه الرواية:

ابن حبان (ت / ٣٥٤هـ)

قال: «توفيت (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) بستة أشهر وصلّى عليها علي ولم يؤذن بها أحداً، ودفنها ليلاً»^(٢).

٣- عبد الرزاق الصنعاني (ت / ٢١١هـ)

عن ابن جريج وعمرو بن دينار أن حسن بن محمد أخبره أن فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دفنت بالليل، قال: فرّبها عليٌّ من أبي بكر أن يصلّيَ عليها، كان بينهما شيء»^(٣).

والرواية صحيحة السند، ورواتها موثقون وهم:

١- ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي.

روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

قال الذهبي: «أحد الأعلام»^(٤).

وقال ابن حجر: «ثقة فقيه فاضل»^(٥).

٢- عمرو بن دينار أبو محمد الأثرم، قال ابن حجر «ثقة ثبت»^(٦).

(١) صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٥٤.

(٢) ابن حبان: كتاب الثقات، ج ٣ ص ٣٣٤.

(٣) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج ٣ ص ٥٢١ ح ٦٥٥٤ و ٦٥٥٥.

(٤) الكاشف، ج ١ ص ٦٦٦.

(٥) تقريب التهذيب، ج ١ ص ٣٦٣.

(٦) تقريب التهذيب، ج ١ ص ٤٢١.

٣- حسن بن محمد: علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو محمد المدني، وهو الحسن بن محمد ابن الحنفية. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. قال الذهبي: «قال عمرو بن دينار... ولم أر أحداً قط أعلم منه»^(١). وقال ابن حجر: «ثقة فقيه»^(٢).

استفهام وتساؤل؟

هذه الرواية تشير بشكل واضح إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في حالة لا يحسد عليها بحيث تعبر الرواية بـ (فرّ) وهو كناية عما يعانيه من الألم من القوم؛ بقرينة ذيل هذه الرواية (كان بينهما شيء) لذا قال: (فر بها) وهذا لا يعني أن علياً يخاف من القوم، فهو الكرار غير الفرار، وهم يعلمون بذلك علم اليقين، ولكن هو تعبير عن الرفض الايجابي للسلطة الحاكمة المتمثلة آنذاك.

٤- محمد بن سعد (ت/٢٣٠هـ)

روى هذه الحادثة بعدة طرق، قال:

«أخبرنا أنس بن عياض، حدثنا يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب قال: دفنت فاطمة ليلاً، دفنها علي.

أخبرنا مطرف بن عبد الله اليساري، حدثنا عبد العزيز ابن أبي حازم عن محمد بن عبد الله عن الزهري، قال: دُفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً، ودفنها علي.

(١) الكاشف، ج ١ ص ٣٢٩.

(٢) تقريب التهذيب، ج ١ ص ١٦٤.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدثنا سفيان عن معمر عن الزهري عن عروة أن علياً دفن فاطمة ليلاً.

أخبرنا عبيد الله بن موسى ووكيع قالوا: حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن محمد بن علي قال: دفنت فاطمة ليلاً.

أخبرنا وكيع، عن موسى بن علي، عن بعض أصحابه أن فاطمة دفنت ليلاً.

أخبرنا عمر بن سعد أبو داود الحضري عن سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أن علياً دفن فاطمة ليلاً.

أخبرنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن سعيد أن فاطمة دفنت ليلاً.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة أن علياً صلى على فاطمة.

عن علي بن الحسين قال: سألت ابن عباس، متى دفنتم فاطمة؟ فقال: دفناها بليل بعد هدأة!

قال: قلت: فمن صلى عليها؟ قال: علي.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة أن علياً صلى على فاطمة^(١).

سند الروايات

أما سند هذه الروايات فيكفيها تعدد طرقها للوثوق بصحتها؛ وكذلك ما

(١) محمد بن سعد: الطبقات، ج ٨ ص ٢٨-٣٠.

ورد ما يطابق هذا المعنى في روايات الصحاح المتقدمة، ولكن هناك من أشكل على دلالة هذه الروايات كما نرى ذلك من ابن حجر العسقلاني.

تعليق ابن حجر

علق ابن حجر على الطرق التي رواها ابن سعد بكلام واه، مبررا الواقعة بلا وجه مقبول، وللأسف أن هذا الدفاع يخلو من الطرح العلمي والموضوعي؛ بل نجد أن تحليله ينطلق من العصبية والعاطفة. وإليك قوله: قال: «روى ابن سعد من عدة طرق أنها دفنت ليلاً وكان ذلك بوصية منها؛ لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه»^(١).

تعليق على التعليق

لنا وقفات مع ابن حجر:

الأولى: ان ابن حجر لم يعلق على الروايات جرحاً أو تعديلاً فهو مؤمن بصحتها.

الثانية: قوله: (بوصية منها) نتفق معه، ونختلف معه في قوله: (لإرادة الزيادة في التستر) فهذا لا يصدر من ابن حجر الفقيه المتبحر؛ لأن التستر من جهة العفة والطهارة واجب، وهذا لا كلام فيه، ولكن هذا الواجب محفوظ في حال الدفن نهاراً أيضاً.

أضف إلى ذلك أن الميت عندما يدفن يرغب أن يشيع وأن يصلى عليه، وكثير من الأعمال التي أوصى بها رسول الله في حال الدفن زيادة في

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٧ ص ٣٧٨.

الثواب، فلماذا رفضت الزهراء هذه الأعمال؟
ثم إننا لم نجد هذه السنة (سنة الدفن ليلاً لزيادة التستر) شائعة في ذلك
الوقت، ولو كانت كذلك لأمر بها رسول الله، وهو العارف بدقائق الشريعة.
وقوله: (ولعله لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن [أي الإمام] أن ذلك لا
يخفى عنه).

مردود بوصيتها له عليه السلام، وهو الأمين على حفظ الوصية.
والصحيح أن سر ذلك هو حرصها عليها السلام أن لا يشهداها ويصليا
عليها لتبقى ظلامتها حجة عليهم إلى يوم القيامة، اليوم الذي لا يغادر صغيرة
وكبيرة إلا أحصاها.
وهذا هو الجواب المنطقي والصحيح الذي يتماشى مع التحقيق العلمي
لتفسير هذه الواقعة.

٥- ابن أبي شيبعة (ت/٢٣٥هـ)

«حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو - بن دينار - عن حسن بن محمد: أن
فاطمة (عليها السلام) دفنت ليلاً.

وذكر طريقاً آخر، قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن معمر عن
الزهري عن عروة أن علياً (عليه السلام) دفن فاطمة (عليها السلام) ليلاً^(١).

٦- أبو نعيم الأصبهاني (ت/٤٣٠هـ)

قال: «حدثنا سليمان بن أحمد، عن أبي زرعة الدمشقي، عن أبي اليمان،
عن شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: قالت: توفيت

(١) ابن أبي شيبعة: مصنف ابن أبي شيبعة، ج ٣ ص ٣١ ح ١١٨٢٦ و ١١٨٢٧، البلاذري: أنساب
الأشراف، ج ٢ ص ٣٣.

فاطمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بستة أشهر، ودفنها عليّ ليلاً. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن محمد بن الحنفية: أن فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً^(١).
اكتفي بهذه الروايات الكثيرة والمستفيضة والصحيحة سنداً ودلالة. وانتقل إلى آراء علمائهم في هذه المسألة.

ومن أقوال علمائهم

١- العجلي

قال: «ودفنها علي بن أبي طالب عليه السلام ليلاً وغسلها وصلى عليها»^(٢).

٢- الواقدي

قال: «وثبت عندنا أن علياً عليه السلام دفنها ليلاً وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً»^(٣).

٣- السهمودي

قال: «وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة (عليها السلام)؛ لما في الصحيح أن علياً (عليه السلام) دفنها ليلاً، ولم يُعلم أبا بكر»^(٤).

٤- ابن حجر العسقلاني

قال: «وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة لما في الصحيح من

(١) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ٢ ص ٤٢، الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٢ ص ٣٩٨ ح ٩٨٩ و ٩٩١.

(٢) العجلي معرفة الثقات، ج ٢ ص ٤٥٨، رقم: ٢٣٤٨. ترجمة فاطمة عليها السلام.

(٣) نقلاً عن السيرة الحلبية، ج ٣ ص ٤٨٧.

(٤) السهمودي: وفاء الوفا، ج ٣ ص ٩٠٣.

حديث عائشة أن علياً دفنها ليلاً، ولم يعلم أبا بكر^(١) ومن ثم دافع عن هذا القول. وقد تقدم منا دفع ما وقع فيه من الخلط والاشتباه، فراجع.

٥- ابن أبي الحديد المعتزلي

قال: «ودفنها ليلاً في الصحة أظهر من الشمس، وأن منكر ذلك كالدافع للمشاهدات، ولم يجعل دفنها ليلاً بمجردده هو الحجة ليقال: لقد دفن فلان وفلان ليلاً، بل يقع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر، أنها أوصت بأن تدفن ليلاً؛ حتى لا يصلي الرجلان عليها، وصرحت بذلك، وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها فأبت أن تآذن لهما، فلما طالت عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام في أن يستأذن لهما وجعلها حاجة إليه وكلمها عليه السلام في ذلك وألح عليها فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما، ولم تكلمهما، فلما خرجا قالت لأmir المؤمنين عليه السلام: هل صنعت ما أردت؟

قال: نعم، قالت: فهل أنت صانع ما أمرك به؟
قال نعم.

قالت: فإني أنشدك الله ألا يصليا على جنازتي، ولا يقوموا على قبري!^(٢)
وبهذا تم نقل معظم الروايات وأقوال العلماء، وقد تبين أن هذه الواقعة صحيحة باعتراف رواياتهم، ونقل جل علمائهم.

(١) ابن حجر العسقلاني: تلخيص الحبير، ج ٥ ص ٢٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٨١.

صلاة أبي بكر على الزهراء عليها السلام

هناك من يدعي أن هناك روايات أشارت إلى أن أبا بكر صلى عليها في حين أنكم تدعون أن أمير المؤمنين عليه السلام دفنها ليلاً ولم يعلم أبا بكر. والرواية نقلها ابن عدي في الكامل في الضعفاء:

«ثنا محمد بن هارون بن حسان البرقي بمصر ثنا محمد بن الوليد بن أبان ثنا محمد بن عبد الله القدامي كذا، قال: وإنما هو عبد الله بن محمد القدامي، قال مالك بن أنس أخبرنا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، قال: توفيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعيد وجماعة كثير سمّاهم مالك، فقال أبو بكر لعلي: تقدم فصلّ عليها، قال: لا والله لا تقدمت وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فتقدم أبو بكر فصلّى عليها فكبر عليها أربعاً ودفنها ليلاً»^(١).
نقول: تقدم في كتب الصحاح أن علياً عليه السلام صلى عليها، ولم يعلم أبا بكر. ثم إنّ هذه الرواية من موضوعات عبد الله بن محمد القدامي.

قال ابن حجر: «عبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة القدامي المصيصي، أحد الضعفاء أتى عن مالك بمصائب منها هذه الرواية»^(٢).
وعليه فهذه الرواية ساقطة وغيره معتبرة.

قال ابن حجر في الإصابة: «وروى الواقدي عن طريق الشعبي، قال: صلى أبو بكر على فاطمة وهذا فيه ضعف وانقطاع وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه ووهاه الدارقطني وابن عدي»^(٣).

(١) ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج ٤/٢٥٨.

(٢) لسان الميزان، ج ٣ ص ١٣٨٢/٣٣٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨ ص ٢٦٧.

الخاتمة

إذن في نهاية المطاف نستطيع أن نقول: إن ظلامتة الزهراء عليها السلام مقطوع بصحتها؛ لما تقدم من مجموع بحثنا، وما صححناه من الروايات سنداً ودلالة، ومن مجموع الأدلة والمتابعات والشواهد والقرائن التي ذكرناها سابقاً، فليس الشيعة تنفرد بهذه الأحاديث؛ بل المسألة تكاد تكون إجماعية عند الفريقين، فمسألة الإحراق والتهديد والوعيد، واحتجاجها بفدك على القوم، وخفاء قبرها إلى يومنا هذا، كل هذه الأحداث ليس من خيال ووحى الشيعة كما يحلو للبعض أن يعطيها هذه الصورة؛ بل وجدنا أن مصادر القوم ورواياتهم طافحة بهذه الأحداث، ومن تأمل بكل ما قدمناه يجد في نفسه الصدق بما نقول.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

حرره يحيى الدوخي

٢٥ رجب المرجب / ١٤٢٧هـ